الجامعة المستنصرية
كلية الآداب
قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

البيئة والوعي ..... قراءة سوسيولوجيه

بشير ناظر الجحيشي
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب
قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

٢٠١١

المقدمة وأهمية البحث

تعاني البيئة وعلى النطاق العالمي لأخطار حقيقية وكوارث بيئية من تلوث وازدياد في تسرب المواد السامة وانحسار الرقعة الزراعية وتآكل الشواطئ والتصحر، مما أدى إلى الإخلال بمقومات التوازن الطبيعي وسوء التخطيط البيئي وغيرها من المشاكل البيئية، ويشير هذا إلى التدهور الذي يلاحق البيئة العربية عموما ولكونها، تسير من سيء إلى أسوأ وبخاصة في القضايا الجمالية والقضايا الاجتماعية المتعلقة بالسكان والإسكان والأنشطة الاقتصادية، فضلاً عن الدور السلبي الذي يقوم به بعض أبناء المجتمع من خلال ممارساتهم وسلوكياتهم الخاطئة والجائرة تجاه البيئة، خصوصا في المدن، إننا اليوم أمام بيئة ملوثة بكافة أنواع التلوث، مقابل قصور كبير وواضح في ثقافة المواطن ووعيه البيئي، ومن هنا يبدأ الدور التربوي للمؤسسات الاجتماعية بكافة مستوياتها في نشر الثقافة والوعي بين الأفراد، بهدف تعديل السلوك والاتجاه نحو البيئة، والتربية هي القادرة على إحداث هذا التغيير لدى الفرد، وتعتمد التربية في تحقيق أهداف التربية البيئية على نتائج الدراسات البيئية في الاختصاصات الأخرى ومنها تنطلق التربية نحو تصحيح المفاهيم البيئية وتوجيه الأفراد نحو الاهتمام بالبيئة .

ويبدأ التغيير بالوعي فالسلوك الصائب لا يخرج إلا من وعي صائب أي أدراك ومعرفة بموضوع السلوك، ومن ثم يبدأ الفرد في الفعل الصحيح أي السلوك الصحيح، وبما أن موضوع السلوك يتصل بالبيئة يصبح الوعي وعياً بيئياً، بمعنى مساعدة الأفراد والجماعات على اكتساب الوعي بقضايا البيئة من جميع جوانبها والمشكلات المرتبطة بها، وان كان الاهتمام بالبيئة والوعي مهماً في حياة المجتمعات المتقدمة والنامية إلا أن الحاجة لهذا الوعي لدى المجتمعات النامية يكون اشد، لأن هناك علاقة قوية بين الوعي والتنمية الشاملة التي تسعى المجتمعات النامية إلى تحقيقها، وتنعكس آثار الوعي على صحة الإنسان الذي يمثل القوى البشرية التي تعتمد عليها التنمية الشاملة في تحقيقها وكذلك الحفاظ على الموارد الطبيعية وترشيد استهلاكها والتي تؤثر بنحو مباشر في عملية التنمية، والتربية وهي تؤدي دورها نحو البيئة تستخدم مؤسساتها كافة في تحقيق الثقافة والوعي.

وتعاني المجتمعات العربية عموماً من تلوث بيئي خطير يقابله قصور كبير في ثقافة المواطن ووعيه البيئي، وتعاني من انتهاكات واعتداءات، فضلاً عن السلوكيات الخاطئة والتعامل غير الرشيد من قبل بعض أفراد المجتمع اتجاه البيئة. "والآراء تكاد تجمع على أن العالم كله مقبل على أزمة بيئية قد تقلب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة الآن في المستقبل القريب أو البعيد". اذاً سوف يحاول الباحث عرض موضوع البيئة والوعي من الناحية السوسيولوجية، وكيف أسهم علماء الاجتماع في تفسير موضوع البيئة والوعي؟ فظلاً عن التعرف على دور المؤسسات الاجتماعية المختلفة في تنمية الوعي لدى أفراد المجتمع.

أولاً: مفاهيم البحث

١. التربية البيئية Environmental Education

يعود انبثاق مصطلح التربية البيئية إلى مؤتمر ستوكهولم عام 1972 حول البيئة البشرية الذي شكل نقطة تحول كبيرة في تاريخ الوعي البيئي مما أعطى دفعة قوية للاهتمام بالتربية البيئية على المستوى الدولي، ولقد اختلفت التعاريف التي تناولت التربية البيئية بيد إن الاختلافات ليست جوهرية ومنها تعريف وليم ستاب William أستاذ التربية ورئيس برنامج البيئة الذي تشرف علية اليونسكو حيث عرفها بأنها عملية انتمائية بمعنى إن التربية البيئية تهدف إلى حث المجموعة السكانية التي تسندها الحوافز وتملك المعرفة والإدراك والمهارات الفردية للعمل فردياً وجماعياً من اجل حلول للمشكلات البيئية الحالية المطروحة وللحد من حدوث مشكلات تضر بحياة الأفراد ورفاهيتهم ومستقبلهم[١]، وتُعرف التربية البيئية بأنها عملية تهدف إلى تهيئة الأفراد والمجتمعات البشرية لتحمل مسئولياتهم نحو المحافظة على البيئة وصيانة مواردها وتعديل سلوكهم ليصبح منسجماً مع كل ما من شأنه ضمان بيئة صحية ، وهذا الهدف يعني تطوير وعي سكان العالم فيما يخص البيئة ومشكلاتها وامتلاك المعلومات والمهارات والاتجاهات والقيم والدوافع والإقحام في العمل الفردي والجماعي لحل المشكلات البيئية القائمة أو الحد منها وضبطها وتجنب حدوث مشكلات بيئية جديدة[٢].

وقد يصعب تحديد مفهوم واحد جامع مانع للتربية البيئية، إلا انه من المؤكد أن التربية البيئية جاءت رداً على ناقوس الأخطار المتزايدة التي يواجهها الإنسان في بيئته والتي هي نتيجة ممارسات سلوكية خاطئة وغير واعية أحيانا للإنسان تجاه بيته، وقد أكد ميثاق بلغراد 1975 على أن التربية البيئية هي ذلك النمط من التربية الذي يعمل على تنمية وعي واهتمام سكان العالم بالبيئة المرتبطة بهم ولديهم من المعارف والقراءات والمهارات والاتجاهات والالتزام والقدرة على حل المشكلات القائمة فردياً وجماعياً وبشكل لا تعود معه هذه المشكلات مرة أخرى[٣].

وتعرف التربية البيئية ايضاً بأنها عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح في بيئته بما تشمله من موارد مختلفة ويتطلب هذا الإعداد إكسابه المعارف البيئية التي تساعده على فهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان وعناصر بيئته من جهة ، وبين هذه العناصر بعضها البعض من جهة أخرى ، كما يتطلب تنميه مهارات الإنسان للمساهمة في تطوير ظروف هذه البيئة على نحو افصل وتنمية الاتجاهات والقيم التي تحكم سلوك الإنسان إزاء بيئته وإثارة ميوله واهتماماته نحو أهمية هذه البيئة وأهمية العمل على صيانتها والمحافظة عليها وتنمية مواردها .

٢. المواطنة البيئية Environmental Citizenship

لقد تعددت التعريفات لمفهوم المواطنة Citizenship حيث يستمد المفهوم معناه في اللغة من مفهوم الوطن محل الإقامة والحماية ، بينما نظر قاموس علم الاجتماع إلى المواطنة

باعتبارها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)[٤]. أما المواطنة البيئية فهي مفهوم تمت بلورته بشكل واضح في المنتدى التحضيري لقمة جوهانسبرغ 2002 للتنمية المستدامة للمنظمات غير الحكومية الذي عقد بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة 2003 ، ويقصد بها السلوك الذي ينتهجه الفرد لحماية البيئة المحلية والعالمية ومواردها الطبيعية ، وصونها من التلوث مما يعكس معرفة ووعياً بندرة الموارد الطبيعية أحيانا، ومحدودية قدرتها على التجدد أو إعادة التأهيل الذاتي أحيانا أخرى وأهمية المحافظة عليها وتنميتها باستدامة.

أن المواطنة البيئية ليست مفهوما فرديا فحسب بل هي مفهوم شامل يتجاوز البعد الفردي ليغطي المسؤولية العامة والمجتمعية التي تتطلب تضافر كل الجهود الأهلية والرسمية والفردية والاجتماعية لتحقيق الأهداف البيئية وغرس مفاهيم الوعي البيئي وتنمية السلوك البيئي المسئول نحو البيئة محليا وقوميا وعالميا. إن مؤشرات المواطنة البيئية لا بد أن تقيس مدى إدراك المواطن لأهمية المحافظة على الموارد المائية وموارد الطاقة وتغيير نمط الاستهلاك مما يعني تقليل استهلاك الموارد وتقليل إنتاج المواد الملوثة للبيئة ، كذلك تقليل إنتاج النفايات بأنواعها بما يضمن صحة البيئة وسلامة كائناتها الحية[٥]. وهنا يمكن إن نقول إن كل ما يؤدي إلى حماية وتحسين البيئة والمحافظة على جمالها ونقائها والحرص على عدم تلوثها، من خلال رمي النفايات بالأماكن المخصصة لها، يدخل في مفهوم المواطنة البيئية.

٣. الإبادة البيئية Ecocide

اليوم، هناك الكثير من الأصوات التي تطالب باعتبار الإبادة البيئية متساوية بجريمة الإبادة الجماعية Genocide، والجريمة ضد الإنسانية، وهي تعني هنا أي اعتداء أو تدمير يلحق بالبيئة سوا كانت طبيعية أو مشيدة أو اجتماعية. أو هي التدمير الشامل والواسع للأراضي الزراعية وتلوثها بالمخلفات الكيميائية والإشعاعية كما يحدث أثناء فترات الحرب، أبتداءً من تخريب وتجريف الأراضي الخصبة والمزروعة، واقتلاع الأشجار، وتدمير التنوع الحيوي، وتلوث المياه الجوفية، ونهب مصادر المياه، ومن أمثلة الإبادة البيئة ما حدث في البصرة جنوب العراق في عام ١٩٩١، وما حدث بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣ من تدمير للبيئة المشيدة، وما يحدث في الأراضي الفلسطينية على أيدي القوات الإسرائيلية.

ثانياً: البيئة

Environment

١.البيئة والتربية

هناك الكثير من الكُتاب لا يهتمون بتعريف البيئة، بحجة أن المعنى العام، أو الظاهر واضح لديهم. ولكن البيئة هي مجموعة الظروف الخارجية التي تؤثر في حياة وتطور الكائنات[٦]. وتعرف البيئة في العلوم الاجتماعية بأنها العوامل الخارجية التي يستجيب لها الفرد

أو المجتمع استجابة فعلية أو استجابة احتمالية كالعوامل الجغرافية والمناخية من سطح ونباتات وموجودات وحرارة ورطوبة[٧]، وفي لسان العرب تعني: بوأه منزلاً وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه ، بمعنى هيأ له وأنزله ومكن له فيه . وتبوأ منزلاً أي نزلته ،قال تعالى"والذين تبؤوا الدار والإيمان"(سورة الحشر ،آية١٠)، والاسم من هذه الأفعال البيئة فأستباءه أي اتخذه مباءه بمعنى نزل وحل به[٨]. ويستخدم لفظ Environment في اللغة الإنكليزية للدلالة على مجموع كل الظروف الخارجية المحيطة والمؤثرة في نمو وتنمية حياة الكائن الحي أو مجموع الكائنات الحية . وتترادف كلمة البيئة بين كلمات الوسط والمحيط و المكان والظروف المحيطة والحالات المؤثرة وذلك في كل من اللغة الألمانية والإيطالية والفرنسية[٩]، وفي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عرفها احمد زكي بأنها كل ما يحيط بالإنسانِ من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية[١٠]، والبيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منة على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى يمارس فيها علاقاته مع أقرانه من بني البشر.

وبالنظر إلى تعاريف البيئة وأبعادها تبرز أهمية التربية وعلاقتها بالبيئة ، فالإنسان هو الذي يؤثر في البيئة ويتأثر بها ، والإنسان هو موضوع التربية ومادتها ، والتربية هي القادرة على توجيه سلوك الأفراد واتجاهاتهم نحو البيئة وكذلك تهيئتهم للتكيف مع الظروف البيئية المحيطة بهم واستغلال البيئة الاستغلال الأمثل . ولهذا فأن التربية البيئية التي بدأ الاهتمام بها مع بداية مؤتمر ستوكهولم المنعقد في السويد في المدة 5- 16 يونيو/حزيران عام 1972، هي بوجه عام تشكل محاولة للخلاص من الكثير من المشكلات البيئية التي تهدد نوعية الحياة للإنسان وغيره من الأحياء على الأرض عن طريق توضيح المفاهيم والعلاقات المعقدة التي تربط بين الإنسان وبيئته وتساعده على التعرف على مشكلاتها وتلافي هذه المشكلات وحلها[١١]. وهي تعني أيضا عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقة المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطة الحيوي الفيزيقي والتدليل على حتمية المحافظة على المصادر البيئية الطبيعية وضرورة استغلالها الرشيد لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة ورفعاً لمستوى معيشته[١٢]. ومما زاد من أهمية التربية البيئية في العصر الحالي ما لحق بالبيئة من أضرار جراء السلوك السلبي للإنسان تجاهها، وفي المجتمعات النامية تزداد أهمية التربية البيئية لأن التنمية التي تسعى إليها هذه المجتمعات تعد المحافظة على البيئة بُعداً لازماً من أبعاد هذه التنمية ، حيث ينبغي الربط والتنسيق بين الأهداف والاستراتيجيات التي تتعلق بالبيئة ، وتلك التي تتعلق بالتنمية فإن استراتيجيات الحفاظ على البيئة وتحسينها وتطويرها نحو الأحسن تتوافق إلى حد بعيد مع التنمية.

مما تقدم تتضح العلاقة بين البيئة والتربية والتنمية، ومن دون الخوض في تفصيلات ليس لها مجال بالبحث الاجتماعي، إنما مجالها تخصصات أخرى ، فإن التربية تقوم ببناء البشر

وهذا البناء يتطلب الكشف عن أهم المشكلات البيئية التي تتولد عنها التحديات التي تواجه المجتمع ، تتمثل في مشكلة التلوث للماء والهواء والتلوث السمعي والإشعاعي وما ينتج عنها من أضرار صحية تلحق بالأفراد ، وما يلحق من ضرر بالثروة الحيوانية والسمكية والنباتية التي يعتمد عليها الإنسان في حياته واستنزاف الموارد الطبيعية وسوء استغلالها. فالمشكلات البيئية التي تواجه أفراد المجتمع العراقي مثلاً قد أوضحتها الكثير من الدراسات(١٣)، والتي تتمثل في تلوث الهواء نتيجة انتشار السموم والمواد المشعة لليورانيوم المنضب بسبب الحروب التي مرت على المجتمع العراقي، فضلا عن تلوث المياه وانتشار أمراض الكوليرا والتيفوئيد والتهاب الكبد الوبائي والبلهارزيا ، والتلوث الضوضائي المنتشر في مناطق المدن وانتشار القمامة واختفاء الكثير من المساحات الخضراء، والتي بحق يمكن إن نطلق عليها إبادة بيئية ، هذا من جانب. ومن جانب آخر المشكلات البيئية العالمية التي تشترك في صنعها كل دول العالم ، وهي المخاطر الناجمة عن ثقب الأوزون والتي تتمثل في زيادة تتراوح بين 5 % إلى 20 % من الأشعة فوق البنفسجية الواصلة إلى المناطق السكنية خلال الأربعين سنة القادمة ، والمعروف أن تلك الأشعة فوق البنفسجية التي تنبعث من الشمس تلحق الضرر بالبشر والحيوانات والنباتات، فظلاً عن الانفجارات البركانية، ومخاطر المفاعلات النووية، كما في مفاعل فوكوشيما باليابان.

ومن خلال هذا العرض للمشكلات لا بد من إعادة النظر في العلاقة بين الإنسان والبيئة ، فيجب أن يتبنى الإنسان قيماً بيئية جديدة وانه ليس من بديل إلا التربية لتحقيق هذه الرؤية وبناء القيم البيئية الجديدة وإعداد الإنسان القادر على مواجهة هذه التحديات وحل المشكلات البيئية ، وليس على التربية مواجهة التأثيرات والتحديات فحسب ، إنما عليها أن تستنزف التأثيرات التي يمكن أن تنجم عن المستحدثات التكنولوجية ولا تدع تأثيراتها حتى تحدث، بل تعمل على تجنبها قبل حدوثها وتعمل على حماية البيئة من أخطار التغير التكنولوجي المتسارع، والتربية في سعيها نحو الحفاظ على البيئة والتصدي لمشكلاتها لا يتأتى لها النجاح إلا عن طريق الوعي البيئي الذي تنشره بين أفراد المجتمع ، وعن طريق هذا الوعي يكتسب الفرد المعلومات والحقائق عن البيئة وعن المشكلات البيئية، وسيكون لدية الشعور بخطورة هذه المشكلات، ثم يبدأ في ممارسة السلوك الإيجابي نحو البيئة والمشاركة في حل المشكلات ، ومن غير الممكن للتربية أن تواجه هذه التحديات أو تنجح في حل المشكلات البيئية دون تعبئة واستخدام إمكانيات المؤسسات التربوية كافة.

٢.البيئة والإنسان

ليس من الإنصاف إغفال الدور الذي قام به العلماء العرب من جغرافيين ومفكرين في مجال الايكولوجيا فقد كان للعرب جهود لها مكانتها في فهم العلاقة بين البيئة والإنسان ، وفي هذا الميدان سبق العلماء العرب علماء الغرب بقرون طويلة ، وكان فهمهم للبيئة أوسع بكثير مما

ذهب إليه العلماء الغربيون ، فقد اشتمل هذا المفهوم عندهم السماء بما فيها من نجوم وكواكب وأبراج ، صحيح أن العرب تأثروا بالحضارة اليونانية وبخاصة "بطليموس" وأخذوا عنهم فكرة تأثير الأبراج والكواكب والنجوم على طبائع الشعوب وأمزجتهم إلا أنه كان لهم إسهاماتهم العربية الخالصة . وكان المسعودي[١٤]، من أوائل الجغرافيين العرب الذين كتبوا عن العلاقة بين البيئة والإنسان، أما ابن خلدون (732- 808 هـ / 1332- 1406 م)فقد كان أكثر العلماء العرب تفصيلاً في شرح العلاقة بين الإنسان والبيئة حيث خصص في مقدمته الشهيرة ثلاث مقدمات جزئية تعرض فيها بالبحث والتحليل لتأثير البيئة الطبيعية على الإنسان[١٥].

ولعل أول مبدأ من المبادئ التي يجب أن نأخذها في الاعتبار هنا هو تعقد العلاقة بين الإنسان والبيئة وتشابكهما إلى ابعد الحدود ، ويزيد من هذا التعقد تعرض هذه العلاقة دائماً للتغيير والتعديل والتحوير نتيجة التقدم الثقافي و التكنولوجي الذي يحرزه المجتمع . فليس من شك في آن مثل هذا التقدم الثقافي والتكنولوجي يساعد مساعدة فعالة وأكيدة على تحكم الإنسان في البيئة الطبيعية بعد أن يكون خاضعاً لها ، وخليق بمثل هذا التحكم إن يؤدي إلى تغييرات جوهرية في البناء الاجتماعي نفسه . والمبدأ الثاني هو أنه على الرغم من التسليم بأثر البيئة في الحياة الاجتماعية في كل المستويات الثقافية والاجتماعية، فأن من الخطأ الزعم بأن هذا التأثير يصل إلى حد تشكيل حياة الناس كلها وتوجيهها بطريقة معينة بالذات في اتجاه محدد بالذات أيضا ، إنما تقدم البيئة في واقع الأمر إمكانيات عديدة للحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات . أيا ما تكون درجة بساطة هذا المجتمع أو بدائيته وتخلفه . بحيث يستطيع الناس أن يختاروا في الأغلب من بين هذه الإمكانيات ما يتفق مع ثقافتهم وتنظيمهم الاجتماعي[١٦].

والمتتبع للعلاقة بين الإنسان وبيئته يرى أنها اتسمت دائماً بالتباين من بيئة لأخرى ، والدينامية من وقت لأخر ، تبعاً للمتغيرات التي مست وتمس الإنسان وهو العنصر المتغير في طرفي هذه العلاقة . فقد بقت هذه العلاقة متوازنة فتره طويلة من عمر الإنسان من منطلق أن الإنسان لم يكن قد بلغ في عدده حجماً كبيراً يضغط بشده على موارد البيئة من ناحية ، وأن إمكانيات البيئة كانت من الوفرة بحيث تستطيع أن تلبي حاجات السكان دون استنزاف ، حتى ولو ساء استخدامها من منطلق القدرة الذاتية للبيئة الطبيعية على استعادة توازنها بصورة سريعة.

ولكن في عصرنا الحالي حيث زاد عدد السكان في كثير من البيئات بما يفوق قدراتها على إعالة الحياة ، أو لأنه بدء يسئ استخدام موارد بيئته بما يعجل باستنزافها وتدهورها، أو أن البيئة قد دمرت تدميراً كاملاً نتيجة للحروب العسكرية كما حدث لبيئة المجتمع العراقي، فقد أصيبت العلاقة بين الإنسان وبيئته بكثير من مظاهر الخلل والتدهور ، وبدأت تبرز الكثير من المشكلات البيئية التي نعاني منها اليوم مثل مشكلة التلوث والتصحر وانتشار القمامة والمياه الآسنة وتدهور المحيط الحيوي وغيره، فقد وصلنا حقا إلى نقطة أصبحنا أحوج ما نكون فيها إلى

العودة الصادقة والالتزام بتعاليم ديننا الحنيف، فضلاً عن نبذ الكثير من العادات السائدة بين الإفراد والتي تحدث عنها الوردي[١٧]"وهي عادة التمخط والبصاق والتغوط في الطرقات ، وشرب الناس في المقاهي وغيرها من وعاء مشترك واحداً بعد الآخر من غير الاعتناء بغسله أو تعقيمه".

وحتى أن الأفراد إذا اهتموا في المقام الأول بنظافة أجسامهم وملابسهم وبيوتهم وشوارعهم ، وعرفوا أن إهمال هذا كله حرام ومخالف للدين ، ما قد رأينا هذه الكميات الهائلة من القمامة في الشوارع والطرقات ، حيث إن المزاج الشخصي للإنسان يرتبط بالبيئة المحيطة به ، حتى أن أحاسيس القبح والجمال بوصفها مشاعر ذاتية ، إنما يكتسبها الإنسان من بيئته المحيطة به.

فالطفل الذي ينشأ في بيئة تتسم بالقبح، ولا يرى حوله مظهراً من مظاهر الجمال أو الذوق أو التناسق والانسجام ، يكون قد افتقد عنصراً هاما من عناصر إنسانية ، وفي وسعنا إن نقول إن هذا القبح يمكن إن ينتج عن الثراء المفرط ، أو عن الفقر المدقع ، ففي البلاد ذات الاقتصاد المتقدم والإنتاج الوفير يكون السعي إلى الضخامة في البناء متعارضا في أحيان كثيرة مع البحث عن الجمال ، وعند حدوث هذا التعارض فان الطرف الذي يضحى به في الغالب هو الجمال ، وهكذا فان كثيراً من المدن الصناعية الكبرى التي تنتج ثروات اقتصادية هائلة ويتعامل أهلها بأموال طائلة تفتقر إلى الجمال الذي قد نجده بدرجة تفوقها بكثير في بلدة صغيرة بسيطة البناء متواضعة الموارد، ولكن القبح يوجد أيضا على الطرف الأخر في السلم الاقتصادي وهو أمر طبيعي تماماً ، ففي البلاد الفقيرة لا يكون هناك مجال للاهتمام بالجمال حيث تسودها الأزمات الاقتصادية ويتكدس الناس في بيوت متهالكة وتضيق الأرض بمن عليها ولا يتوقع من احد أن يحرص على وجود لمسات جمالية في البيئة ، أو على ترك مساحات خضراء واسعة لتنقية الهواء وتنقية النفوس معا، ما دامت لقمة العيش هي الشغل الشاغل للجميع[١٨].

وقد أكد رسولنا الكريم محمد (صلى الله علية واله وسلم) علاقة الإنسان بالبيئة وضرورة الاهتمام بها فقد قال " إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فأن استطاع أن يغرسها قبل قيام الساعة فليفعل وأجره عند الله عظيم ".

وقد عاد الإنسان ببيئته إلى نقطة البدء من خلال تدميره المتواصل لتوازنها واستغلاله غير الرشيد لمواردها، من خلال قطع أشجارها إما لأسباب أمنية، كما في العراق، أو لاستخدام أخشابها كوقود لأغراض التدفئة أو لطهي الطعام ، ولهذا فقد أصبحت بيئتنا تضج بكل مصادر التهديد للأمن. فالإنسان الذي يفرط في قطع الأشجار أو يستغل موارد بيئته بشكل جائر يرتكب فعلاً مشيناً لأنه بهذا العمل يعجل بتدهور البيئة واستنزافها وتعطيل قدراتها على إعالة الحياة .

ولذلك فإن المتأمل قد يصل إلى نتيجة مذهلة وهي أن جانباً من مخاطر الطبيعة على الإنسان لم يعد يصدر عن قوة الطبيعة كما كان الأمر في الماضي بل يصدر عن ضعفها وأن قوة الإنسان في تعامله معها أفضت إلى ضعفه وعجزه بإزائها[١٩]. وهذا يعني أن الإنسان يبني من جهة ويهدم ويخرب من حيث لا يشعر من جهة أخرى ، يصنع الآلات والأجهزة المتطورة ويقيم المصانع العملاقة وفي ذات الوقت يشطب السنين من أجندة عمره ويقرب بنهايته بيده، في الوقت الذي يحلم فيه بالمزيد من العمر والراحة والاطمئنان .

٣. البيئة في التراث السوسيولوجي

نتيجة للاهتمام الواضح من قبل علماء الاجتماع بالبيئة، فقد ظهر وتبلور في الكثير من كتاباتهم ما يسمى " علم اجتماع البيئة " الذي يبحث في تأثير البيئة في الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات. " حتى أن استعراض تراث علم الاجتماع يكشف عن حقيقة هامة، تتمثل في آن مفاهيم مثل البيئة والنضال والصراع والتوازن والتفاعل والبناء والتنظيم والموارد وغيرها من المفاهيم التي أصبحت " بيئية " من الدرجة الأولى. كانت كلها أفكارا محورية شغلت حيزا كبيرا من اهتمام العلماء والمفكرين، سواء كمجالات للبحث أو كمتغير للتحليل والتفسير، ويكفينا إدراك هذه الحقيقة لتأكيد الصلة الوثيقة بين البيئة وعلم الاجتماع"[٢٠].

يهتم المدخل السوسيولوجي بتفاعل الإنسان والنظم الاجتماعية المختلفة مع البيئة، وآثار ونتائج هذا التفاعل على مستوى البيئة الريفية والبدوية والحضرية والصناعية، فيهتم مثلاً بتأثير الإنسان على البيئة وسيطرته عليها في تشييد مسكنه وإنتاج غذائه وكسائه وإشباع حاجاته الإنسانية من زواج وترويح ودفاع وضبط وتدين، كذلك يهتم هذا المدخل بمدى تأثير البيئة – بأنواعها المختلفة – على النشاط الاقتصادي والاجتماعي للإنسان، وتجمعاته العمرانية في البوادي والقرى والمدن، وتشكيلاته وفئاته الاجتماعية المختلفة[٢١].

لقد كان واضحاً عامل البيئة في جميع اتجاهات علماء الاجتماع العرب وفي مقدمتهم ابن خلدون[٢٢]، وعند علماء الاجتماع الفرنسيين وفي مقدمتهم مونتسكيو وفردريك لبلاي الذي قرر أن البيئة هي التي تحدد العمل وبذلك يكون لها تأثير كبير في النظام الاقتصادي للأسرة . أما في مجال التفسيرات التي تظهر أثر البيئة في الإنسان وحضارته، فيعد ابن خلدون رائداً في هذا المجال وله الفضل في وضع أقدم النظريات المتعلقة بهذا الموضوع حيث أظهر أثر العامل الجغرافي على المظهر العمراني في أكثر من موضوع، وفسر كثرة العمران وازدياد السكان بالظروف المناخية وفي ذلك يقول " وإفراط الحر يفعل في الهواء تجفيفاً ويبساً يمنع التكوين لأنه إذا أفرط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والحيوان والنبات إذ التكوين لا يكون إلا بالرطوبة".

ويشير ابن خلدون إلى اثر المناخ في طبائع الشعوب من خلال تأثير المعتدل من الأقاليم والمنحرف منها في ألوان البشر والكثير من أحوالهم ولهذا يقرر " أن الأقاليم المعتدلة يكون سكانها اعدل أجساما وأخلاقا واديانا " ويؤكد على أثر المناخ في أحوالهم المعاشية فيقول" وأما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها ابعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبنائهم بالطين والقصب وأقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق الشجر يخصفونها عليهم أو الجلود". وتعرض ابن خلدون إلى تفسير العوامل البيئية القاسية في الصحراء كأسباب أدت إلى خشونة البدو وقوة بأسهم واعتمادهم العصبية في النسب لحماية أنفسهم ، بعكس سكان المدن المتصفين بالنعيم والترف وفقدان الشجاعة والسبب في ذلك يقول ابن خلدون " إن أهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسومهم..... وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ، فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق[٢٣].

وتعد مؤلفات مونتسكيو(١٦٨٦-١٧٥٥) أهم ما كتب بعد مقدمة ابن خلدون حتى القرن الثامن عشر ، وقد جمع هذه الكتابات في كتابة روح القوانين وقد اعتبر الإنسان كائناً فرداً أو وحدة طبيعية تقابله قوتان كبيرتان هما التربة والمناخ ، ادخلهما مونتسكيو في اعتباره دون أن يدرسهما أو يحلل آثارهما في تفصيل، وعذره في هذا انه لم يكن عالماً طبيعياً بل عالماً اجتماعياً.

وبغض النظر عما تنطوي علية نظرة مونتسكيو من حتمية جغرافية متطرفة في كثير من جوانبها ، ألا أنها بتركيزها على خصائص البيئة أو العوامل البيئية كمتغير تفسيري ، كانت قد مست قضية لا تزال تثير قدراً من الجدل في الفكر الاجتماعي والايكولوجي على سواء ، كما أنها عدت في الوقت نفسه البيئة وخصائصها عاملاً أساسيا في التنوع الثقافي والاجتماعي.

ونستطيع أن نتلمس بعض الجوانب المهمة للمدخل البيئي في كتابات أميل دوركهايم في دراسته للمجتمع، فقد عد المورفولوجيا الاجتماعية أحد الفروع الأساسية التي ينقسم أليها العلم، ومن ثم قسمها إلى مبحثين رئيسيين هما دراسة الأساس البيئي للتنظيم الاجتماعي من ناحية، ودراسة الظواهر السكانية كالكثافة والحجم والتوزيع المكاني من ناحية أخرى[٢٤].

وجاءت دراسة فريدريك لبلاي (١٧٠١-١٧٧٢) عن أصول الأسرة وميزانيتها بين البيئة وشكل نمط الأسرة التي تتأثر دوما بأشكال النشاط الاقتصاد السائد. أما هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣) فقد مثلت أعماله مرحلة متطورة في الايكولوجيا البشرية، ونظر إلى الكائن الحي والمجتمع على أساس التفاعل بين كل منهما والبيئة التي يوجد فيها. واتضحت اهتمامات ليستر وارد (١٨٤١-١٩١٣) في البيئة حينما ميز في النسق الاجتماعي بين النشأة والتطور التلقائي للبناءات

والوظائف الاجتماعية وبين العمل الإصلاحي المقصود والواعي. أما روبرت بارك (١٨٦٤-١٩٤٤) فقد برز اهتمامه من خلال مقال بعنوان المدينة، وعمله المشترك مع أرنست بيرجس الذي ركز فيه على عدد من المفاهيم السوسيولوجية والايكولوجية كالتفاعل الاجتماعي، الاتصال، العمليات الاجتماعية، التنافس، التعاون، الصراع، التمثيل، التوافق، وهذه المفاهيم هي من هيأ لنشأة علم الاجتماع البيئي، عندما شغلت تفكير الكثير من العلماء والمفكرين، سواء كمجالات للبحث أو كمتغير للتحليل والتفسير.

وبطبيعة الحال فإن الحركات البيئية ليست نسيجاً واحداً فالمجال الإيكولوجي زاخر بالجدل والخلاف، وقد ظهر أول حديث عن إمكانية حدوث كارثة عالمية خلال الستينات، ثم ما لبث أن تحول إلى زخم من التنبؤات، لقد أدعى هؤلاء أن موارد الأرض باتت تستهلك بمعدل مخيف، كما أن التلوث يحطم التوازن البيئي الذي يتوقف علية استمرار الطبيعة. ويرى سيمون وآخرين بأنه لا يوجد سبب للقلق والخوف من التلوث، وعلى سبيل المثال فإن ارتفاع درجات الحرارة على المستوى العالمي إما أنها ظاهرة طبيعية، وليس للبشر دخل في حدوثها، أو أنها لم تحدث قط، فالطبيعة لها خصائصها تعيد إليها توازنها، وهي خصائص أكبر بكثير من أي تأثير للبشر على البيئة، فالطبيعة – مثلاً – تخلق أنواعاً جديدة، في الوقت الذي تدمر فيه أنواعاً أخرى[٢٥].

ولا تزال العلاقة بين البيئة الطبيعة والظواهر الاجتماعية مثاراً للاهتمام والبحث وللدراسة بين الكثير من العلماء والباحثين في مختلف العلوم الإنسانية والطبيعية، حيث لا توجد مشكلة اجتماعية يعاني منها المجتمع في كافة أنحاء العالم ألا ولها وجه من وجوه الآثار البيئية المحيطة.

رابعاً: الوعي

١. مفهوم الوعي في علم الاجتماع

معظم الدراسات أكدت على إن مصطلح الوعي له معان كثيرة ، وهو ترجمة للكلمة الانكليزيةConsciousness ، وقد ورد في المعجم الوسيط تحت كلمة الوعي : الحفظ والتقدير والفهم وسلامة الإدراك ، وهو أيضا الفقيه الحافظ الكيس[٢٦]، والوعي كلمة لاتينية الأصل تعني معرفة الأشياء على نحو مستمر، ويقصد بالوعي أيضا أن يكون الإنسان واعياً دائما بنفسه وهو يفكر، فالوعي هو الأفكار التي تمر في عقل الإنسان، كما أنه عملية أو حالة من الإدراك لخبرات ذاتية في لحظة معينة، معنى هذا أن الوعي يستلزم إدراك المرء لذاته، والإنسان صاحب الوعي هو الإنسان المدرك لما حوله من مظاهر الحياة ومكوناتها ويدرك الأبعاد بين الأشياء ومنافعها وأضرارها ويقيس كل شيء بمقياس علمي صحيح حتى تأتي أفعالة بعد ذلك بنتائج

طيبة ، وفي علم الاجتماع استخدم مفهوم الوعي ليدل على مشاعر الإدراك الشخصي أو ليدل على الشعور العام بالذات، وتلعب الثقافة دورا في تحديد اتجاه الوعي، فالثقافة النقدية الجادة تؤثر تأثيراً ايجابيا في تطويره وتحسينه وتقدمة نحو الإمام، والثقافة المنغلقة تفضي إلى واقع سلبي يغيب الوعي ويعتم الرؤية.

والوعي هو عملية معقدة لم تأت من فراغ ، وإنما من خلال علاقة الإنسان بوسطه الاجتماعي والبيئي. لأن هناك علاقة تبادلية بين الوعي والمحيط الاجتماعي ،فالإنسان يؤطر تفكيره من وجوده الاجتماعي وبقدر تطور معرفته يستطيع أن يعكس المعرفة على الواقع الاجتماعي وعلى شكل تطوير وتغير وابتكار وإبداع ." والوعي هو أدراك الفرد لطبيعة الظروف والمخاطر والمعوقات المحيطة به وكيف يستطيع التفاعل معها والتجاوب مع مفرداتها بحيث يكون متكيفاً مع البيئة أو الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه". وهو الذي يساعد الأفراد على تبصيرهم بالمشاكل الاجتماعية و إرشادهم إلى وسائل حلها والتغلب عليها هذا من جانب ، ومن جانب أخر فأنة يساعد الإفراد والجماعات على تحقيق حياة أفضل لهم وحملهم على النهوض بمجتمعهم.

أما الوعي الاجتماعي فإنه يعد بصفة عامة من ظواهر الحياة الاجتماعية ، وهو ظاهرة معقدة ومركبة وليس بوسع الفرد دراستها على مستوى واحد وتحت صورة واحدة ، وتعتبر معالجة هذه الظاهرة ودراستها من وجوه مختلفة مبدأ منهجياً هاما نظرا لتنوع روابطها وعلاقاتها مع غيرها من الظواهر[٢٧].

ويشمل الوعي الاجتماعي مجموعة الآراء والأفكار والمفهومات والنظريات السياسية والقانونية والدينية والبيئية، فهو يشمل جميع أنواع الوعي.

أ. إن ما أسهمت به الاتجاهات المثالية في الفكر الاجتماعي بخصوص مسألة الوعي قد قلب المقولات الماركسية رأساً على عقب، إلى الحد الذي ذهب بالكثيرين إلى القول بأن تلك الإسهامات قد جاءت أساساً كرد فعل للماركسية التقليدية[٢٨]. ويقوم المبدأ الأساسي للاتجاه المثالي في معالجة موضوع "الوعي الاجتماعي" على إن الوعي هو أساس سائر الأحداث الاجتماعية، بمعنى أن وعي الأفراد هو الذي يحدد وجودهم. ويذهب عالم الاجتماع البريطاني (ماكنيتر) في ذلك الشأن إلى أن ما يعرف بالبناء الاجتماعي إنما يوجد فقط في رؤوس أعضاء هذا البناء، ويعني هذا أن وعي الناس هو الذي يحدد البناء الاجتماعي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أفكار الأفراد أو وعيهم لا يمكنها أن تعكس هذا البناء الاجتماعي بشكل واقعي[٢٩].

ب لقد حدد دوركايم هوية ما هو عقلاني ونسبه لما هو اجتماعي، وذهب في ذلك إلى أن السلوك على المستوى الحيواني يستمد عقلانيته بالنظر إلى عامل غريزي ووراثي بينما السلوك الإنساني يختلف عن الحيواني نظرا لأن الإنسان لديه من الوعي الذي يحرره من فاعلية الغريزة والوراثة، بيد أن الوعي الفرعي يعتبر جزئية متضمنة في الوعي الجمعي ومن ثم نجد أن دوركايم يعتبر الأخير - أي الوعي الجمعي - هو المصدر الحقيقي لعقلانية السلوك ، يتضح ذلك حينما يؤكد في أكثر من موضع إن عقلانية الفعل تتجاوز الحساب والإدراك الفردي وإنما تتحدد هذه العقلانية أساسا بالنظر إلى الضمير الجمعي من حيث كونه يحدد القواعد الحاكمة للسلوك من الخارج بالإضافة إلى تشكيل غايات السلوك تلك التي تشكل جوهر الشخصية الفردية[٣٠].

ج. وقد حدد ماركس الوعي الاجتماعي في المجتمع الطبقي بأنه لا يمكن أن يكون متماثلا فكل طبقة تشكل وعيها وفهمها الخاص عن العالم المحيط بها ، وما يطابق الظروف الاقتصادية لوجودها، ومن المعروف أن الطبقة الحاكمة في أي مجتمع تسعى دائما لفرض أرائها وأفكارها بأي شكل على الجماهير الشعبية الكادحة ، وأن تجعل هذه الأفكار هي المسيطرة وهي تنجح بدرجة أو أخرى لأنها هي المالكة لوسائل الإنتاج.

مثل هذا الوعي والمجتمع الذي تهيمن فيه القوى الاجتماعية على الإنسان لا يملك وعيا لذاته، والقفزة من عالم الضرورة إلى عالم الحرية تدل على أن المجتمع قد حصل على وعيه الذاتي.

إذن فالناس يتعاملون باستمرار ويعيشون في المجتمع مترابطين بعلائق متنوعة جدا وسيبقى ذلك الترابط قائما ما بقى الناس موجودين ، وهذا يعني أن الوعي الفردي عند الإنسان يشمل في ذاته محتوى اجتماعيا ، وأن عالم الفرد ليس وجودة الشخصي فحسب بل هو أيضا وجوده الاجتماعي ، أي وجود مجتمعه الذي ينتمي إليه ويحمل اهتماماته ويعيش في وسطه الروحي الذي يشكل عامل تأثير موضوعي في وعيه.

وانطلاقا من التحديد الماركسي للوعي الاجتماعي ، فيمكن أن يعرف الوعي الاجتماعي بأنه مجموع المشاعر والتصورات والمواقف الجماعية للواقع الاجتماعي التي يشكلها الموقع الطبقي والتي تتحدد بالأوضاع الاجتماعية وتعكسها. ثمة إذن نوعان من الخصائص في وعي الإنسان :

- خصائص فردية تجعله يعي بشكل فردي، ويميز الأحداث والظواهر المختلفة، ويثمن على طريقته وقائع الحياة الاجتماعية جاعلا إياها بهذا القدر أو ذاك موضوعا لمعاناته الفردية الخاصة.

- خصائص اجتماعية يكتسبها الإنسان في مجرى علاقاته الضرورية والمستمرة بالآخرين في مجالات الحياة المادية والروحية كلها، وهذه الخصائص تشكل الأساس الذي يقوم عليه الوعي الاجتماعي .

وفي ضوء أن هناك علاقات جدلية تفاعلية بين عملية التنشئة الاجتماعية التي تحدث للفرد ووعيه الاجتماعي وبينهما وبين الوعي الاجتماعي والبناء الاجتماعي ككل، هذا يعني أن عملية التنشئة الاجتماعية تتأثر بالوعي الاجتماعي وتؤثر فيه ، فهي تتأثر به من خلال الفرد الذي ينشأ على أساس متطلبات جماعية وإدراكه لمطالبها ، ومحاولة تطويرها ، وتؤثر في الوعي الاجتماعي للفرد من ناحية أنها تكسب الفرد القيم التي يعكسها التكوين الاقتصادي لجماعته أو مجتمعه الذي يسيطر علية نمط أنتاج معين في مرحلة تاريخية معينة.

د. أما أصحاب الاتجاه البنائي فيرون أن الوعي الاجتماعي هو تلك العملية التي تساعد الأفراد والجماعات لكي يصبحا على وعي أكثر حساسية بظروفهم الاجتماعية وأسبابها وفكرتها حول اهتماماتهم الخاصة ، كما يشير الوعي الاجتماعي إلى اتجاه عقلي منعكس يعين الإنسان على أن يكون واعيا بنفسه وبيئته بدرجات مختلفة ومتفاوتة من الوضوح والتعقد ، ويتضمن اتجاه البنائية الوظيفية النقاط التالية :

- وعي الإنسان بوظائفه الجسمية والعقلية .
- الوعي بأهداف العالم المحيط به .
- إدراك الإنسان لنفسه كانسان في المجتمع الذي يعيش فيه .
- إدراك الإنسان لنفسه كعضو في جماعة .

وهناك من يؤكد على أهمية المادة أو الواقع الموضوعي في تشكيل الوعي إذ يشير الوعي الاجتماعي إلى الحصيلة الكلية للأفكار والنظريات والآراء والمشاعر الاجتماعية ، وتقاليد وأعراف وعادات الناس التي تعكس الواقع الموضوعي للمجتمع والإنسان والطبيعة .

وعلى هذا فيشير الوعي الاجتماعي إلى قدرة الإنسان على استيعاب الحقائق حوله ، كما يندرج الوعي في قائمة القيم والمعايير التي تحدد درجة تفاعل العقل مع معطيات البيئة والمجتمع ويتصف هذا التفاعل بين الموجب والسالب تبعا لما تفرضه مؤثرات البيئة أو الوسط المحيط الذي يقرر غالبا نوعية الاستجابة وسمات ردود الأفعال.

هـ. وجاءت الاتجاهات الحديثة في البنائية الوظيفية على يد كل من تالكوت بارسونز، وروبرت ميرتون، وقد أعتبر بارسونز أن كل فعل سلوك وليس كل سلوك فعلاً، حيث يشتمل الفعل الإنساني على عنصر ذاتي بين المنبه والاستجابة، كما أوضح أيضا أن الفعل الإنساني يتحدد بمجموعة من المعايير والقيم التي توجه هذا الفعل وتتحكم فيه، كما أن المجتمع نسق كلي يتكون

من مجموعة من الأجزاء المترابطة بنائيا والمتساندة وظيفيا، والتساند والتوازن هما الخاصيتان الأساسيتان اللتان تميزان الأنساق الاجتماعية، ولضمان الحفاظ على توازن المجتمع واستمراره يجب وضع مجموعة من المعايير والقيم العامة والمشتركة بين أفراد المجتمع وجماعاته.

أما ميرتون فقد قدم عددا من المفاهيم الجديدة التي أضافت إلى مفهوم الوظيفية، منها الوظيفية الظاهرة ويقصد بها الوظيفة التي تسهم في الحفاظ على النسق ، والوظيفة الكامنة وتعني الوظيفة غير المقصودة التي تعد ايجابية بالنسبة للنسق ، أما المعوقات الوظيفية فهي تشير إلى العناصر التي تعوق توازن النسق .

وقد انتقد ميرتون مقولة العناصر الثقافية فهذه العناصر قد تكون لمجموعة ما، بينما لا تكون كذلك لمجموعة أخرى، كما أن العناصر الثقافية قد تقوم بأكثر من وظيفة والوظيفة قد تؤدي بأكثر من طريقة، وعلى هذا يجدر هنا أن نلاحظ أن الوعي الاجتماعي ليس شيئا ضبابياً موجوداً خارج الوعي الفردي ومنفصلا عنه، إنه موجود في رؤوس الأفراد ولكن ما يميزه عن الوعي الفردي هو إنه منظومات عامة من الأفكار والنظريات والمواقف تجاه مجمل جوانب الحياة الاجتماعية، ولذا فالوعي الفردي والوعي الاجتماعي لا يتطابقان ولكنهما مع ذلك لا ينفصلان أبدا وتتجلى وحدتهما في كون الوعي الاجتماعي لا يوجد إلا من خلال الوعي الفردي، حيث يبرز باعتباره عاما من خلال الخاص، بينما يمثل الوعي الفردي الوعي الاجتماعي باعتباره في الأساس وعيا اجتماعيا يحمل الخصائص الفردية للإنسان المعني[٣١].

٢. أنواع الوعي الاجتماعي

يتكون الوعي الاجتماعي من أشكال وأنواع متعددة ومختلفة مثل: الوعي العلمي، والوعي السياسي، والوعي الديني، والوعي البيئي، والفلسفي، والجمالي، والأخلاقي، والقانوني، كما طرحتها معظم أدبيات علم الاجتماع التي أطلعنا عليها في دراسات سابقة. ولكنني هنا سوف لا أتطرق إلى كل هذه الأشكال والأنواع بالشرح والتوضيح ، وذلك لأن بعضها لا يمثل اختصاصنا وإنما مجاله اختصاصات أو اهتمامات أخرى .ولهذا سوف أتناول ثلاثة أنواع من الوعي وهي الوعي البيئي والوعي السياسي والوعي الديني وذلك لضرورات ومتطلبات بحثنا :

أ. الوعي البيئي : بالرغم من تعدد التعاريف التي قامت بتعريف مفهوم الوعي إلا أن معنى الوعي البيئي بصفة خاصة لم يتعرض له الكثيرون، وزاد الاهتمام به بعد زيادة المشاكل البيئية وعلى النطاق العالمي. ويعرف الوعي البيئي على أنه المعرفة بالأشياء والأحداث الماضية والحاضرة ، كما يعرف على أنه إدراك الفرد لبيئته وإحساسه ووعيه بها ومعرفته للعلاقات والمشكلات البيئية من حيث أسبابها ووسائل حلها . ويتضح من هذا التعريف أن الوعي البيئي يتضمن الجانب المعرفي مع الوجداني فيما يتعلق بالبيئة وهذه هي أولى خطوات تكوين الاتجاهات البيئية التي تحكم سلوك الفرد في المستقبل . كما يعرف أيضا الوعي البيئي بأنه

موقف الفرد تجاه المشكلات البيئية والتي تكون لديه باحتكاكه وتفاعله مع هذه المشكلات وهذا الموقف يظهر في صورة الموافقة أو الرفض كما يظهر في سلوك الفرد بالسلب أو بالإيجاب نحو البيئة[٣٢].

ويشير الوعي البيئي بصفة عامه إلى الإدراك الذهني الذي يربط الإنسان بالبيئة المحيطة به، والذي يساعد الفرد لكي يصبح أكثر حساسية وإدراكاً لكل ما يدور حوله من مواقف[٣٣].

إذن فالوعي البيئي يتضمن الإدراك الواعي لكيفية التعامل مع البيئة بوصفها الغلاف المحيط بالإنسان بما يصونها ويحافظ على صحة الإنسان وسلامته ولذلك فهو الإحساس بروح المسئولية الخاصة والعامة من الإنسان نحو البيئة ، وهو الإدراك القائم على الإحساس والمعرفة بالمشكلات البيئية من حيث أسبابها وآثارها ووسائل حلها، ويمكن تعريف الوعي البيئي بأنه معرفة وأدراك إفراد المجتمع الكاملة بخطورة التلوث وآثاره على الفرد والمجتمع وضرورة التعامل الحسن مع البيئة.

ب. الوعي السياسي : ما دامت المجتمعات التقليدية لا تزال في مرحلة التحول فإن الأنساق السياسية والممارسات السياسية في هذه المجتمعات لا يمكن أن توصف من خلال نفس المقولات التي توصف بها هذه الأنساق وتلك الممارسات في المجتمعات الغربية ، فهي ليست انساقا ديمقراطية والمجتمعات برمتها ليست مجتمعات ذات نظم متعددة الدعائم تعرف قدراً هائلاً من الكفاءات في عملية إصدار القرار السياسي أو الممارسات السياسية، ولكن هذه المجتمعات توصف من حيث درجة تطور أنساقها السياسية بأنها مجتمعات ذات نظم أحادية، وذلك تمييزاً لها عن المجتمعات ذات النظم المتعددة الدعائم والتي توجد في الغرب[٣٤]، من هنا تبرز أهمية الوعي السياسي من خلال الدور الهام الذي تضطلع به الايدولوجيا السياسية التي تعكس المصالح والاهتمامات السياسية، وخاصة تلك اللصيقة بالجماعات أو الطبقات الحاكمة في المجتمع، وتعكس الايدولوجيا السياسية أيضا وضع الطبقات في نمط الإنتاج الاجتماعي السائد ومصالحها، كما أنها تتضمن المفهوم الذي يسود لدى الجماعات أو الطبقات بشأن البنية السياسية للمجتمع، ومن خصائص الوعي السياسي أنه يظهر فقط لدى جماعات أو شرائح اجتماعية أو طبقات على درجة معينة من التنظيم، كما أنه يحدد الأهداف والوسائل المختلفة لتلك الجماعات والكيفية التي تحقق بها مصالحها وتصوغ بها علاقاتها الاجتماعية ودرجة متابعتها للتغير الذي يحدث في المجتمع. ويلاحظ أن هذا كله يتم في ضوء الواقع الاجتماعي الذي تعيشه تلك الجماعات ذاتها بما تشمله من ظروف مادية أو غير مادية ويعني هذا أن تغير محتوى الوعي السياسي يغير من حالة الجماعات والطبقات في المجتمع .

وقد عرف الوعي السياسي بأنه نتاج معرفة وإدراك كل شريحة طبقية لمصالحها السياسية، والعلاقات القائمة بين أعضاء الشرائح الطبقية المختلفة، والقضايا السياسية المحلية والقومية وتصوراتهم عنها وتقييمهم لها وردود أفعالهم تجاهها.

ويعرف ماركس الوعي السياسي بأنه انعكاس للوجود الاجتماعي لطبقة ما معبراً عن مصالحها ، فالوعي السياسي سمة طبقية مثله في ذلك مثل أشكال الوعي الأخرى، فالطبقة التي تمتلك عوامل الإنتاج هي الطبقة التي تستطيع أن تمتلك القوة الفكرية في نفس الوقت ، ويتحدد الوعي السياسي طبقا للوضع وحسب المصلحة الطبقية في المجتمع.

وللوعي السياسي أنماط متباينة يعكس كل منها ظروف الواقع الاجتماعي، فنمط الوعي السياسي يرتبط في محتواه بصورة مباشرة بأسلوب الحياة اليومية فهو لا يوجد في فراغ وإنما ينشأ خلال الممارسات الواقعية(٣٥).

وتعاني معظم مجتمعات البلدان العربية ومجتمعات العالم الثالث من ظاهرة ضعف الاستقرار السياسي مما يؤدي إلى تخلفها ويضعف من قدرتها على إحداث التنمية المجتمعية ، وينبغي القول إن غياب الوعي السياسي يؤدي إلى كثرة المشكلات نظرا لان التنشئة الاجتماعية تلعب دورا أساسيا في تحويل الفرد إلى كائن اجتماعي فإنها تساهم في إعداد الفرد لكي يكون مواطنا صالحا يمكنه الاشتراك في العمل السياسي من خلال تنمية الوعي لديه بقيمة الدور الذي يمكنه القيام به .

ج. **الوعي الديني** : يرى دوركايم أن وظيفة الدين هي ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة عن طريق الفهم، أي فهم الواقع والعلاقات الاجتماعية والاتصال بمعنى اتصال الأفراد بعضهم ببعض على أساس من المفاهيم المشتركة، والتحديد أي تنظيم الأفكار والعلاقات الاجتماعية عن طريق هذه الأشياء يتقبل الأفراد الدين على أنه شيء ملزم ومطلق، وأشار دوركايم إلى إن مجموعة العبادات تربط الأفراد بعضهم ببعض وتخرجهم من أنفسهم. ومن هذه الرابطة يستمد الأفراد ثقتهم وقوتهم، وقد أسهم ماركس بطريقة غير مباشرة في إثارة الاهتمام بمكانه الدين في المجتمع، حيث كان تركيزه منصبا على الدور الذي يلعبه الدين في المجتمعات ذات المستويات الطبقية الواضحة وإسهامه في إخماد الوعي الطبقي بين إفراد الطبقة المستغلة أو نموه. وينبغي القول أن كلا من " ماركس وأنجلز " أرادا أن يبينا أن الدين قد يكون وسيلة للاعتراض أو القبول والخضوع ، ولذا حاولا التمييز بين الظروف التي يظهر أو يمكن فيها الصراع الطبقي من خلال تبريرات دينية.

أما فيبر فقد جعل من دراسة الدين محورا لاهتماماته السوسيولوجية حيث حاول إقامة علم اجتماع ديني من خلال دراسة دور الأفكار والقيم والدين في التغير الاجتماعي. وتعتبر مقالة فيبر عن الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية أحد الإسهامات في علم الاجتماع الديني. كما ينبغي القول إن الطبقة الحاكمة قد تستخدم الدين كوسيلة للتأثير على وعي المواطنين وتبرير

إيديولوجيتها السياسية ومواجهة أي حركات معارضة تقوم بها الجماهير ضد النموذج التنموي السائد الذي فشل في إشباع حاجاتهم، ولا شك أن الدين يمكنه أن يلعب دورا ايجابيا في تنمية المجتمعات من خلال العديد من القيم التي يدعو إليها كقيمة العمل وضرورة استغناء الجماهير في الأمور الهامة التي تمس حياتهم وما شابه ذلك، حيث إن الوظيفة الأساسية للدين عند مالينوفسكي هي خلق اتجاهات قيمية عقلية، فالطقوس المرتبطة بالموت تعمل على تقوية الرابطة بين الإحياء بعضهم ببعض، كما تحميهم من حالة انعدام المعنى المحيط بالحياة الاجتماعية، فالدين قوة هامة للضبط الاجتماعي وهذا لا يرجع إلى انه منبثق من المجتمع ولكن لأنه يقدم للأفراد الإجابة والانضباط التي يحتاجون إليها في أوقات أزماتهم[٣٦].

والدين هو أحد المتغيرات الأساسية في المجتمع البشري ، وفي المجتمعات متعددة الأديان يبرز هذا المتغير كأحد معايير التباين بين الجماعات ، والتنوع الديني في نفس المجتمع لا يكتسب أهمية سياسية إلا إذا ترتب علية تنافس أو تنازع أو صراع في مجالات القيم أو الثروة ، أو السلطة[٣٧].

وبما أن مجتمعاتنا العربية تتميز أغلبها بأنها شبه متجانسة دينياً، وحتى لا تتربى الأجيال أو تمتلئ عقولها بالتحيزات وتتشبع بالأهواء وتتربى على هوس معين أو فوضى لا أخلاقية ، فنحن اليوم بأمس الحاجة إلى الوعي الديني المعتدل والغير متطرف، حتى لا يكون هناك صراع أو تنازع في جميع المجالات، ويكون هناك مجتمع أمن ومستقر ومزدهر.

٣. أقسام ومكونات الوعي الاجتماعي

أتضح إن مفهوم الوعي الاجتماعي مفهوم واسع يشمل كل أشكال النشاط الروحي للناس،التي يعي الناس بواسطتها الجوانب الطبيعية والاقتصادية والجمالية والأخلاقية في الحياة ، كما يشمل أيضا مشاعر الناس وأمزجتهم التي تسمى في مجملها(السيكولوجية الاجتماعية) التي تؤثر في نواحي الحياة الاجتماعية كلها ويستحيل دون أخذها في الحسبان إن تتقدم في دراسة مكونات الوعي الاجتماعي. ويُقسم "بليخانوف" في كتابة عن القضايا الرئيسية في الماركسية الصادر عام 1908 الوعي الاجتماعي إلى سيكولوجية الإنسان الاجتماعي ، والإيديولوجيات المختلفة ، ويحدد الاقتصاد سيكولوجية الإنسان الاجتماعي ، بينما تنعكس سيكولوجيات الإنسان على الأيديولوجيات المختلفة ، أي إن صفاتها تنعكس على الايديولوجيا[٣٨]، وعلى الرغم من إن أطروحة "بليخانوف" عن إن الايديولوجيا هي انعكاس للسيكولوجية الاجتماعية، لم تجد قبولا مجمعاً علية في الماركسية، إلا إن مبدأ تقسيم الوعي الاجتماعي إلى سيكولوجية اجتماعية وأيديولوجيا بوصفها انعكاساً للواقع قد أخذ طريقة نحو تحليل بنية الوعي إلى جانب تقدير"بليخانوف" بأن السيكولوجية تختلف عن الايديولوجيا في كونها الجانب العاطفي من الوعي[٣٩]، وعلى هذا فتتحدد مكونات الوعي الاجتماعي فيما يأتي :

أ. السيكولوجية الاجتماعية

وهي المشاعر والإرادة والأمزجة والعادات والتقاليد التي تظهر في نفسية الجماعات الاجتماعية والطبقات والأمم والشعوب، وذلك لتشابه وتقارب ظروف حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وللسيكولوجية الاجتماعية معنى جامعا يمكن إن يشمل طبقه بعينها أو أمة بكاملها حيث تتجلى فيها الخصائص النفسية المشتركة لجميع أفراد الطبقة أو الأمة على اختلاف فئاتها وطبقاتها كنمط الشخصية وحدة الطباع أو برودتها والعواطف والأذواق والتقاليد التي تترك طابعها القومي على الوعي الاجتماعي وعلى هذا فالسيكولوجية الاجتماعية تؤثر في نواحي الحياة الاجتماعية كلها[٤٠]. وقد تعني السيكولوجية الاجتماعية تفاعل وانصهار المشاعر والإحساس الفردية نحو الواقع في مشاعر جماعية، وهي بالضرورة في المجتمعات الطبقية مشاعر طبقيه نحو الطبقات السائدة والمسيطرة، وبعضها نحو الطبقات الخاضعة ولا يتم التعبير عن الإدراك فقط عندما يصف الواقع وتمايزاته وتناقضاته، بل أيضا عند تفسير هذه التناقضات وربطها بالكلية الاجتماعية التي تنتجها لان فهم التناقضات وتفسيرها مقدمة ضرورية لفهم واستيعاب الكلية الاجتماعية خاصة عندما يسير الإدراك غور التناقضات ليعينها وليميز فيها بين التناقضات الخارجية والداخلية ، والأساسية الجوهرية والثانوية، حتى يكون المستوى الثالث مستوى التصورات البديلة التي يحدد المفاضلة بينها بالنسبة للزمان والمكان، وأهداف ما تم تفضيله ووسائل تحقيق هذه الأهداف الإيديولوجية العلمية الواقعية التي تحدد مواضع الإمكانية وكيفية تحولها إلى واقع يواجه التناقضات الأساسية الداخلية والخارجية[٤١].

وتستهدف وظائف السيكولوجية الاجتماعية تحقيق القناعات والمواقف وسواها من التكوينات النفسية والاجتماعية في الروابط وسواها من الوظائف التي تخص الوعي الاجتماعي بمجموعة، وهكذا تحقق السيكولوجية الاجتماعية تأقلم البشر مع العلاقات الاجتماعية القائمة وتنظم عبر تكوينات وخاصة العادات والتقاليد الروابط بين البشر، وفي معايير السلوك الاجتماعي تتجسد التجربة الحياتية للبشر وتنتقل إلى الأجيال اللاحقة.

ب. الايديولوجيا

هي نظام من الأفكار يتكون من مرحلة تاريخية معينة لتوجيه الممارسات والسلوك الفردي والجمعي نحو أهداف تتصل بإثبات الذات، وتتبع عن تصور للهوية ورؤية العالم ومطالب الحياة استناداً لمرجعية القيم والمعتقدات وتعبيراً عن مستوى الثقافة ووعي الحقوق، مما يشكل معياراً للفرد والمجتمع في التصرف وتقدير المواقف وتحديد الاتجاهات في النظر للماضي، وما ينبغي عمله في الحاضر والمستقبل واختيار الأساليب المؤدية إليه[٤٢]، وهي أيضا مجموعة وجهات النظر السياسية والحقوقية والدينية والأخلاقية والفنية التي تعكس مصالح هذه الطبقة أو تلك. ويتضح أن العلاقة بين الوعي والايدولوجيا تنطوي على وجود نوع من التأثير المتبادل

بينهما يتوقف على عوامل تتصل بالفرد بذاته وبالبنية الاجتماعية المحيطة به، أما النوع الثاني فيتضمن الكيفية التي ينقسم بها المجتمع إلى شرائح أو فئات أو حتى لطبقات اجتماعية تتفاوت مصالحها ودرجة تمتعها بمصادر القوة المتنوعة، ولذلك يمكن القول أن الايديولوجيا هي الشكل الأكثر تطورا للوعي الاجتماعي لأفراد المجتمع، إذ أنها تقدم فهما أفضل للظواهر الاجتماعية المختلفة المحيطة بهم بما في ذلك تحديد الأساس الطبقي ودور الطبقات(٤٣).

ويمكن إن تفرق الملامح الخارجية بين الايديولوجيا والوعي الجماهيري، بالقول أن الايديولوجيا هي وعي متخصص وتفسير ذلك أنه إذا كانت النفسية الاجتماعية تعبر عن جماهير عريضة من البشر وهي القوة الدافعة للشعوب بأسرها وفي كل شعب طبقات بأكملها فإن القسم الناشط يعبر عن الايديولوجيا. كما تمثل الايديولوجيا نظاما للأفكار والآراء وتعتبر جزءاً من الصعيد النظري لانعكاس الواقع، وتوضع على يد مفكرين وممثلين لطبقة ما، يملكون أمكانية الانصراف إلى النشاط الفكري ويستطيعون التعبير عن المصالح الطبقية في شكل نظريات وتعاليم ومنظومات فكرية، ويحلل هؤلاء الإيديولوجيين نظريا وضع الحياة الاجتماعية ومكان طبقتهم فيها وهم يعون مصالح طبقتهم قبل أن تجد الطبقة نفسها الطرق العلمية لتحقيق هذه المصالح، وعلى هذا فالايديولوجيا هي الوعي الذاتي لطبقات مفرده، وحين نعرف الايديولوجيا بصفتها الوعي الذاتي للطبقة فهذا صحيح بالنسبة لكل مجتمع فيه طبقات، وحين نعرفها كوعي ذاتي للمجتمع فأن المجتمع ككل يمكن يملك مثل هذا الوعي الذاتي، وعلى كل حال لا تملك سائر المجتمعات مثل هذا الوعي، والمجتمع الذي تهيمن فيه القوى الاجتماعية على الإنسان لا يملك وعيا لذاته، والقفزة من عالم الضرورة إلى عالم الحرية تدل على أن المجتمع قد حصل على وعيه الذاتي(٤٤).

وقد وجه "اوليدوف" إلى هذا التقسيم انتقادات من جوانب عده :

- انه إذا كان الوعي الاجتماعي ينقسم إلى سيكولوجيا وأيديولوجيا ، فما هو وضع العلم فيه؟ فلا يوجد سبيل لتفريق الايديولوجيا والمعرفة لأنه لا يمكن من الناحية المعرفية تحديد فوارق بينهما. وعلية يرى "اوليدوف" إن التصنيف الجوهري للوعي الاجتماعي هو انه وعي اجتماعي متخصص ووعي جماهيري، لان حملة الوعي هما الجماعات البشرية .

- إن السيكولوجية ليست وضعا للجانب العاطفي من الوعي، فهي جملة التكوينات الفكرية، فإلى جانب المزاج والمشاعر هناك أراء البشر حيال مسائل متنوعة، فالسيكولوجية الاجتماعية هي نتاج تأثر النظام الفكري في الجماهير وأن محتواها متراكب ففيها مستويات عديدة من الظواهر السيكولوجية والاجتماعية، مضافا إليها عناصر وتكوينات فكرية مثل العادات والتقاليد والأذواق.

- إن السيكولوجية الاجتماعية تشتمل على أفكار وتصورات سياسية وقانونية وأخلاقية ، وإن كانت لا تكون نظريات ومنظومات فكرية كما هو بالنسبة للإيديولوجية إذ توجد على شكل

قناعات وهذه هي محتواها. فأكثر وظائف السيكولوجية تميزاً هي وظيفتها الشعورية الإرادية التي تدفع البشر إلى الفعالية[٤٥].

- إن السيكولوجية الاجتماعية تتميز عن الايديولوجيا في إن الإنتاج الفكري الإيديولوجي لا يكتسب من قبل الجماهير دفعة واحدة، بينما تنتشر الآراء والأفكار في صفوفها بحسب تجربتها وقناعاتها واتجاهاتها الاعتقادية. أخيراً يتضح إن :أوليدوف" يقرر إن كلاً من الايديولوجيا والسيكولوجيات الاجتماعية تشتركان في مجموعات وطبقات اجتماعية كاملة ، وهنا لا توجد اختلافات بينهما وأن الفروق لا تبدو إلا عندما يتعلق الأمر بالوعي المتخصص والوعي الجماهيري. ومن ثم البحث عن حامل ذلك الوعي تحديداً[٤٦].

٤. آليات تحقيق الوعي البيئي

إن الوعي البيئي بالنسبة للكثير من الأفراد ما يزالان دون مستوى الطموح، ليس في المجتمع العراقي فحسب وإنما في الكثير من الأقطار العربية والدليل على ذلك أن قضايا البيئة ما تزال قضايا مناسبات واحتفالات وأخبار إعلامية بعيدة عن الممارسة اليومية الذاتية للمسؤول أو المواطن، ويمكن أن يستدل على ذلك أيضا من خلال غياب السلوكيات الصحيحة للتعامل مع البيئة ومحدودية الأجهزة المسئولة عن حماية وتحسين البيئة، وإن وجدت هذه الأجهزة فهي في الغالب غير فعاله وغير مؤثرة في المجتمع، ويمكن تحقيق الوعي البيئي لدى الأفراد من خلال الأتي :

أ.الأسرة والمدرسة : للآسرة والمدرسة دور كبير وواضح في تكوين الوعي البيئي لدى الأفراد بوصفهما مؤسستين رئيسيتين في عملية التنشئة الاجتماعية ، وتؤكد إحدى الدراسات أن أكثر ما يعوق نمو أخلاقيات البيئة التي تغير نظرتنا إلى الأرض بما عليها من كائنات هو إن نظمنا التعليمية لا تساعد على تعميق وعينا بها، فالحواجز الفيزيقية العديدة تفصل بيننا وبينها بحيث أصبحت في نظرنا مجرد مساحات ممتدة بين المدن. وإذا قضينا يوما في المناطق الطبيعية سرعان ما يتسرب الملل إلى نفوسنا، نحن إذن في حاجة إلى إن يتشرب أولادنا المفاهيم الايكولوجية خلال حياتهم الدراسية، وليس من الضروري إن تفرد لذلك مناهج خاصة بل يمكن إن تتضمنها المناهج العادية في علوم التاريخ الطبيعي والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع مثلا، فالتربية البيئية ليست مجرد مشاعر عاطفية وإنما هي عمليات عقلية أيضا[٤٧]. ألا أننا لا يجب أن نحصر تفكيرنا في الأسرة والمدرسة ، فالمؤسسات الأخرى في المجتمع تستطيع أن تلعب دوراً فاعلاً، كدوائر الدولة الأخرى والمعاهد والجامعات. حيث أن الوسيلة التربوية الرئيسة هي البيئة، أي الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان والأشياء التي يتعامل بها مع غيره من الأفراد وما

بينهم من علاقات. بمعنى إن على كل دائرة إن تضع ضوابط السلوك البيئي في ضمن حدودها ، وبهذا تستطيع أن تقوم بعملية التوعية والتربية البيئية لمنتسبيها.

ب. الدين : في كثير من المجتمعات يقع على الدين رسالة كبيرة وهامة إلا هي المساهمة في حل المشكلات الاجتماعية، وذلك عن طريق تقديم مداخل دينية لحل مشكلات المجتمع وتنميته ، فهناك فريق من علماء التنمية في العالم الثالث يتبنون هذا الاتجاه وينظرون إلى إن إحدى دعائم التنمية في مجتمعاتهم تركز على الارتباط بالتراث الثقافي والديني في المجتمع، وهو الذي يميزهم عن غيرهم ويجعل لهم خصوصية مستقلة بذاتها ، ويسعى هؤلاء العلماء إلى وضع تصور ديني منبعث من واقع ثقافتهم ودينهم لتحقيق التنمية كبديل لتلك النظريات الغربية التي فشل تطبيقها في مجتمعاتهم، فهؤلاء العلماء يؤكدون الترابط والتكامل بين القيم الدينية من جهة، والتنمية من جهة أخرى[٤٨]. والدين في المجتمعات المسلمة هو احد الجسور الصلبة التي يمكن أن تنهض عليها عمليات التحديث والتنمية والتقدم، فقد نجحت العقائد في تغيير حياة الناس ولا شك في آن أقوى العقائد هي العقيدة الدينية، فالدين هو وازع قوي نحو الأيمان والطاعة والعمل وقد وضع الدين الإسلامي تعاليم واضحة وصريحة في كل مشكلة من مشاكل البيئة من أول نظافة جسم الإنسان حتى نظافة منزلة ونظافة شارعه. ويستطيع خطباء الجوامع أن يوضحوا للناس كيف أشار الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز إلى أهمية البيئة ودورها في حياة الناس ووجودهم، وقد قال تعالى" ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم أن كنتم مؤمنين" (الأعراف، ٥٨).وقال أيضا "الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتى، كُلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآياتٍ لأولى النهى، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أُخرى" (طه، ٥٣-٥٥)

هذا فضلاً أن يكون لرجال الدين دور في توعية الناس ليس من خلال الجوامع فحسب وإنما حتى من خلال وسائل الأعلام وخصوصاً التلفزيون، وأيضا تضمين مناهج مادة التربية الإسلامية الآيات والأحاديث التي تؤكد على أهمية البيئة.

ج. وسائل الأعلام : منذ كان الإنسان يعيش في الكهوف استعمل هذا الإنسان وسائل الأعلام لاطلاع الآخرين على ما يحدث في بيئته، حيث كان يوصل المعلومة من شخص إلى آخر، وقد أوضحت معظم الدراسات أن التلفزيون في العالم الثالث يلعب الدور الأول في توصيل المعلومات البيئية إلى المواطنين، ثم يعقبه الراديو، ثم الصحف، وفي دول العالم المتقدم تلعب الصحف والمجلات الدور الأول.

إن الغاية العلمية لوسائل الأعلام المختلفة تتمثل في المضمون الذي تقدمه هذه الوسائل ومدى مسايرته لروح العصر والفاعلية الموضوعية والأبعاد التثقيفية. فالمضمون الاجتماعي لهذه الوسائل يعني بتوعية الفرد توعية متسقة مع أهداف المجتمع، بمعنى أنها أي _ وسائل الأعلام

_ تلعب دور كبير في مجال التوعية بأنواعها المختلفة ومنها التوعية البيئية. حيث من واجب وسائل الأعلام التوجه نحو الناس وتوعيتهم بالمشاكل البيئية المحيطة بهم من خلال موادها وأفلامها وإعلاناتها التي تعرضها سواء كانت في الأعلام المرئي أو المسموع أو المقروء. بحيث تكون موجهه من اجل زيادة الثقافة والوعي البيئي لدى أفراد المجتمع." وقد أكد مؤتمر تبليسي المنعقد في الاتحاد السوفيتي (روسيا حالياً) عام 1977 على أهمية الأعلام البيئي من خلال وسائل الأعلام ودورها في نشر الوعي والمعارف لدى أبناء المجتمع من اجل حماية البيئة من التلوث"[٤٩]، حيث أن المهمة التي يمكن أن تضطلع بها وسائل الأعلام هي تحريك الاهتمام الجماهيري بالجرائم البيئية وبلورة رأي عام قادر على التصدي لها، فوسائل الأعلام هي من أكثر المؤسسات التربوية قادرة على نشر الوعي البيئي بين أفراد المجتمع. إلا إن الملاحظ أن هناك قصور أعلامي كبير في مجال التوعية البيئية. حيث لا تعدو نشاطات الأعلام البيئي في أحسن الأحوال نشرة أخبار قصيرة أو مقالة علمية في أحد الصحف.

د. التشريعات البيئية : معظم الدول تخصص من بين وزاراتها وزارة لشؤون البيئة، وهيئة الأمم المتحدة خصصت منظمة لشؤون البيئة والمعروفة باسم برنامج الأمم المتحدة للبيئة[٥٠](U.N.E.P) وجميعها تعمل ضمن لائحة من الأنظمة والقوانين التي تحد من خلالها من سلوك الإفراد السيئ تجاه البيئة. وتعد التشريعات البيئية بمثابة الإطار القانوني الذي ينضم علاقة الإنسان بالبيئة، فغالباً الناس لا يلتزمون بما هو واضح عقلياً من ضرورة الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث ، لذا يأتي القانون بدوره الفاعل ليضع الضوابط الرادعة لمن يسيء إلى البيئة، ولأن القانون كما يقال له أسنان يمكن أن يعظ بها. لذا الكثير من الناس تتحدد أفعالهم بما يسمح به القانون ولا يمكن تجاوزه خوفاً من العقوبة التي يمكن إن تقع عليهم نتيجة المخالفة أو التجاوز على القانون، واغلب القوانين في معظم الأقطار العربية معتمدة على الشريعة الإسلامية كمصدر رئيس من مصادرها، حيث يمكن اقتباس الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وتحويلها إلى مواد قانونية دقيقة وصارمة تحد من تجاوزات الأفراد على البيئة من خلال ما يملكونه من مصانع ومعامل وتسرب نفاياتها الضارة أو دخانها، أو على الذين يرمون النفايات في الطريق أو لمن يسيء إلى المساحات الخضراء في المدن.

هـ. تنمية البيئة المحلية[٥١]: قبل القيام بأي عملية تنموية تنهض بالبيئة المحلية وتزيد من جمالها، وقبل إن نقوم بتوعية أفراد المجتمع بأهمية البيئة أو سن القوانين التي تفرض عليهم الحفاظ عليها، يجب أن نؤكد لهم على اهتمامنا الجدي وحرصنا على البيئة وتضحياتنا بالمال والجهد والوقت من اجل ذلك. بمعنى أننا يجب آن نحقق لأفراد المجتمع بيئة محلية متطورة، ثم نطالبهم بعد ذلك باستيعاب توجيهات التربية البيئية وطاعة القوانين الخاصة بالبيئة، فإذا لم يجد إفراد المجتمع الاهتمام بمناطقهم في مجال الصرف الصحي للمياه القذرة وتبليط الشوارع وأنارتها

وجمع النفايات من البيوت والمحال وتخصيص أماكن خاصة لرمي النفايات، فضلاً عن توفير المؤسسات الصحية والاعتناء بالمنطقة من خلال جماليتها الطبيعية باستغلال اكبر المساحات الفارغة وتشجيرها وزيادة المساحات الخضراء. فإذا لم يجدوا كل ذلك فأنهم سوف لن يستوعبوا مجهودات التوعية البيئية وأهدافها ، ولن يستجيبوا للقواعد القانونية . حيث أننا إذا استطعنا تنمية البيئة المحلية وتطويرها وتحقيق كل هذا لأفراد المجتمع فأننا سنجدهم قد استجابوا لتوعيتنا وأطاعوا القوانين المتعلقة بالبيئة. لأن البيئة هي في خدمتهم وهي البيت الأكبر الذي يجمعنا.

و. دور الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني: تؤدي الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني دوراً كبيراً في الحفاظ على البيئة، ورفع الوعي البيئي لدى أفراد المجتمع، وذلك من خلال حملاتها الدعائية والانتخابية، وكذلك نشاطاتها الدورية والموسمية، وما تقدمة من دعم مادي ومعنوي للمناطق السكنية أو للوحدات الانتخابية، وذلك بتشجير المناطق والمحافظة على جماليتها، فظلاً عن ندواتها ومؤتمراتها التي تقيمها لهذا الغرض، ورفع بعض الشعارات التي تدعو إفراد المجتمع من خلالها إلى المحافظة على البيئة، وأن بيئتنا هي بالنسبة لنا بيتنا الأكبر والمحافظة عليها مسؤولية جماعية وأخلاقية.

الخاتمة

في خاتمة البحث أود أن أقدم بعض التوصيات التي أراها ضرورية، علها تسهم في تنمية الوعي البيئي وتحقيق المواطنة البيئية، من اجل حماية البيئة التي باتت تشكل مسؤولية جماعية تلقى على عاتق كل فرد في المجتمع من دون تمييز :

1- التفكير على المستوى العالمي بمشاكل البيئة، لأن البيئة لا تتجزأ كما يعرف الجميع ، وأن نعمل على المستوى المحلي لحماية البيئة الخاصة بنا ، وأن نتذكر أذا كانت الدول الكبرى غنية اقتصاديا فنحن أيضا أغنياء حضاريا ولدينا إمكانيات مادية وثروات بشرية كبيرة وهائلة.

2- نشر الوعي البيئي بين القطاعات الشعبية كافة لتعميق الإحساس بخطورة المشاكل البيئية وتوعية المواطن بأهمية دورة في المحافظة على البيئة من خلال ما يسمى بالتربية البيئية عبر البرامج التلفزيونية والندوات، وتدريس موضوع البيئة في كل المراحل، لأن المحافظة على البيئة يبدأ بالفرد منذ الطفولة، لغرس وتأصيل مفهوم المواطنة البيئية لدى الأفراد.

3- إن يكون لوزارة البيئة، وللجهات المسئولة عن حماية وتحسين البيئة دور كبير في تحقيق البيئة المحلية المتطورة من خلال ندواتها وحلقاتها النقاشيه ورعاية المناطق السكنية بتوفير الصرف الصحي ورفع النفايات وتبليط الطرق وزيادة المساحات الخضراء في كافة المدن، إضافة إلى تشجيع ودعم المواطنين في تشجير منازلهم ومناطق سكناهم، فضلاً عن هذا يجب إن يكون

لوزارة البيئة مجلة دورية تهتم بنشاطات الوزارة ومشاريعها، وتهتم كذلك بإسهامات الباحثين والمتخصصين في شؤون البيئة ودعمهم مادياً ومعنوياً .

4- إن تقوم الجهات المسئولة عن حماية البيئة بدعم الأساتذة والطلبة والباحثين في مجال البيئة والإنسان، فضلاً عن التعاون المحلي والإقليمي مع كافة المنظمات والمؤسسات المهتمة بحماية البيئة.

5- سن القوانين الرادعة التي تحد من السلوك غير الرشيد مع البيئة والتي تحد من سلوك المتجاوزين على البيئة والذين يعرضونها إلى الخطر بتلويثها بدخان المصانع أو رمي النفايات في الطرق والحدائق والمناطق السكنية .

6- إن يكون موضوع البيئة ضمن المناهج الدراسية وبما يتناسب مع أسس التربية البيئية في كافة المراحل الدراسية وصولاً إلى المراحل الجامعية، وخاصة في معاهد المعلمين والأقسام الإنسانية في الكليات ودعم الجامعات وتشجيعها على منح الدرجات العلمية (ماجستير - دكتوراه) في موضوعات البيئة، من خلال التركيز على المواضيع والظواهر والمفاهيم الجديدة.

7- إن يكون لجامعة الدول العربية دور كبير وواضح، في الحفاظ على بيئة عربية نظيفة وخالية من التلوث، من خلال مؤتمراتها وندواتها المعدة لهذا الغرض.

المصادر والهوامش حسب ورودها في البحث

١. خالد الجابري، التنشئة البيئية للأسرة، ندوة العوامل والآثار الاجتماعية لتلوث البيئة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص٦٠ .
٢. احمد أبو هلال وآخرون،المرجع في مبادئ التربية،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،١٩٩٣ ، ص٥٠٨ .
٣. ماري سعد سليمان ، الأعلام والوعي البيئي ، رسالة ماجستير ، قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٤ ، ص١٣ .
٤. نقلاً عن : رضا عطية إبراهيم ، المواطنة والانتماء وأثرهما على الدولة والمجتمع والأسرة ، مكتبة الأسرة ، سلسلة العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص٢٣ .
٥. كامل جاسم المرياتي ، مقدمة في علم التبيؤ البشري (الايكولوجيا البشرية)، بيت الحكمة ، سلسلة كتاب الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص٧٨ـ٧٩ .
٦. Sills , L, David : International Encyclopedia of the social sciences , the Macnillan company , the dree press vol.5 ,1988,p91
٧. مصطفى السخاوي، الايكولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٦،ص٢١.
٨. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥، ص٣٩.
٩. احمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، ط١، الدار العربية للنشر والتوزيع، سلسلة دائرة المعارف البيئية، القاهرة، ١٩٩٦، ص٧٢.
١٠. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٧٧، ص١٣٨.
١١. احمد عبد الوهاب عبد الجواد ، التربية البيئية ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥ .
١٢. إبراهيم عصمت مطاوع،التربية البيئية في الوطن العربي،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٥، ص٢٥ .
١٣. أنظر : بشير ناظر الجحيشي، الآثار الاجتماعية للتلوث البيئي دراسة ميدانية لآثار الحرب على البيئة في المجتمع العراقي، الطبعة الأولى، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠١١.
١٤. يذكر المسعودي في (كتابه المشهور "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وتحت فصل "ذكر جوامع من الإخبار ووصف الأرض والبلدان وحنين النفوس للأوطان" أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين

فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الأرض كتب إلى حكيم من حكماء العصر : إنا أناس عرب ، وفتح الله علينا البلاد ، ونريد أن نتبوأ الأرض ، ونسكن البلاد والأمصار ، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها ، وما تؤثره التربة والأهوية في سكانها). بغض النظر عن مدى علمية رد الحكيم على هذه المسألة أو هويته فإن اللافت للنظر في الأمر هذا الإدراك المبكر للخليفة عمر بن الخطاب في القرن الأول الهجري ـ السادس/ السابع الميلادي لأهمية تأثير البيئة في الإنسان ، وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا أن الخليفة بسؤاله هذا إنما أراد أن يستدل على طبائع وسلوك وثقافة الشعوب غير العربية التي قدر لها أن تدخل تحت حكمة وقدر له أن يتعامل معها .
أنظر : المسعودي ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج٢ ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ١٩٨٧ ، ص٦١.
وأيضا انظر: مصطفى السخاوي ، الايكولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص٢٥.

١٥. مصطفى السخاوي، الايكولوجيا الثقافية ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
١٦. احمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الثاني ، الأنساق ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ١٩٦٧، ص٨٤ ـ ٨٥ .
١٧. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،بدون دار نشر وسنة طبع ، ص٣٠٧ .
١٨. فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، ط٣ ،عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨ ، ص٢٣٦ .
١٩. كريم محمد حمزة ، الأبعاد البيئية للعدوان على العراق ، ندوة العوامل والآثار الاجتماعية لتلوث البيئة ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص٣١٨ .
٢٠. السيد عبد العاطي السيد،الايكولوجية الاجتماعية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ،١٩٨٤، ص١٤٧ .
٢١. علي محمد المكاوي، البيئة والمجتمع دراسة في علم الاجتماع، القاهرة، بدون اسم دار نشر وسنة، ص٣٢.
٢٢. تعتبر مقدمة ابن خلدون أفضل نموذج سوسيولوجي - بيئي فهو قبل مونتسكيو أكد أهمية العامل الجغرافي وتأثيره في البيئة الاجتماعية.
٢٣. ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، بدون سنة نشر ، ص٤٩ ،ص٨٢،ص١٢٥ .
٢٤. السيد عبد العاطي السيد، الايكولوجية الاجتماعية ، مصدر سبق ذكره ، ص١٤٩ .
٢٥. أنتوني جيدنز، الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية، ترجمة احمد زايد، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٠، ص٩١.
٢٦. اللغة العربية،المعجم الوسيط،الجزء الثاني،الطبعة الثالثة،جمهورية مصر العربية،٢٠٠٥،ص١٠٨٧ .
٢٧. إيمان شريف ، دراسات الوعي الاجتماعي في مصر المفاهيم والمناهج ، جامعة الأزهر ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، العدد٢٢ ، مصر ، ٢٠٠٤ ، ص٦٨٥ ـ ٦٩٢.
٢٨. سمير نعيم احمد، النظرية في علم الاجتماع، دار الوادي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨١، ص٩٨.
٢٩. س.س بوبوف، نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر، ط٢، نزار عيون السود(مترجم)، دار دمشق، بيروت، بدون تاريخ، ص١٢.
٣٠. علي ليلة ، النظرية الاجتماعية المعاصرة دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع "الأنساق الكلاسيكية" ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص٣٠٧.
٣١. إيمان شريف،دراسات الوعي الاجتماعي في مصر المفاهيم والمناهج،مصدر سابق، ص٦٩٣-٦٩٦.
٣٢. المصدر نفسه ، ص٧٠٧.
٣٣. Robert Barker: The Social work Dictionary, 3rd, slier spring, The(N.A.S.W) press 1995, p32.
٣٤. احمد زايد،البناء السياسي في الريف المصري،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،٢٠٠٦،ص٨١.
٣٥. أيمان شريف،دراسات الوعي الاجتماعي في مصر المفاهيم والمناهج،مصدر سابق ، ص٧٠٤.
٣٦. سامية مصطفى الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، الكتاب الأول ، علم الاجتماع الديني ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٥٥ ـ ٦١.
٣٧. فرهاد إبراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي، نموذج الشيعة في العراق، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٦، ص٢٤ .
٣٨. بليخانوف ، القضايا الرئيسية في الماركسية ، برلين ، ١٩٥٨ ، ص٨٤ ،عن :أ.ك. اوليدوف،الوعي الاجتماعي،ط٢، ترجمة ميشيل كيلو ، بيروت ، دار ابن خلدون ، ١٩٨٢، ص١٣٨ ، وكذلك ينظر في : بكري خليل ، الايديولوجيا والمعرفة ، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان، الأردن ، ٢٠٠٢ ، ص٣٤٦ .

٣٩. بكري خليل،الايديولوجيا والمعرفة،ط١،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،الأردن ،٢٠٠٢، ص٣٤٦ .
٤٠. إحسان محمد حفضي،الوعي والمشاركة ودورهما في إنجاح التنمية الحضرية ،رسالة ماجستير ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٢ ، ص٢١ .
٤١. أ.ك. اوليدوف ، الوعي الاجتماعي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٦ .
٤٢. بكري خليل ، الايديولوجيا والمعرفة ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢٧ .
٤٣. أيمان شريف،دراسات الوعي الاجتماعي في مصر المفاهيم والمناهج،مصدر سبق ذكره ،ص٦٩٧ .
٤٤. عبد الباسط عبد المعطي، التعليم وتزييف الوعي الاجتماعي، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد٤، المجلد ١٢، ١٩٨٤، ص٥٥.
٤٥. بكري خليل، الايديولوجيا والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٧ .
٤٦. أ.ك. اوليدوف، الوعي الاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٨ ـ ١٥٣ .
٤٧. فتحية محمد إبراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، الثقافة والبيئة مدخل إلى دراسة الانثروبولوجيا الايكولوجية ، دار المريخ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٨ ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
٤٨. سامية مصطفى الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص١٨.
٤٩. اليونسكو، التربية البيئية على ضوء مؤتمر تبليسي، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، ١٩٨٣، ص٩٢.
٥٠. يعتبر برنامج الأمم المتحدة (يونيب) أحد البرامج المعروفة في مجال حماية البيئة، وقد نشأ يونيب بعد مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة الإنسانية الذي عقد في ستوكهولم عام 1972 م ويهتم البرنامج بمراقبة البيئة العالمية ويلعب دور الوسيط والمنسق في مجالات حماية البيئة كافة ، ويهدف يونيب إلى تنمية الكثير من برامجه ومشاريعه البيئية عبر المنظمات التطوعية والهيئات الخاصة والخيرية والأغاثية في كافة أنحاء العالم .
٥١. يقصد الباحث بالبيئة المحلية هي المنطقة السكنية التي يقطنها أفراد المجتمع.

ملخص البحث
على المستوى العالمي تعاني البيئة من اخطار حقيقية وكوارث بيئية، والحال نفسه ينطبق على البيئة المحلية، فنحن اليوم امام بيئة ملوثة بكافة انواع التلوث مقابل قصور كبير وواضح في الوعي لهذا نحن اليوم بحاجة لوعي صائب وسليم بمواضيع البيئة، والوعي الصائب لا يخرج الا من سلوك صائب فالتغيير يبدأ بالوعي. لهذا جاء عنوان البحث (البيئة والوعي...قراءة سوسيولوجية)ليعالج موضوع البيئة والوعي مجتمعا من خلال عدة مفاهيم مع بيان دور التربية وبعض المؤسسات في تنمية الوعي بأشكاله المختلفة، مع التركيز على الوعي البيئي واليات تحقيقه. وبما ان موضوع البيئة وطرق علاجه لا يمكن تجزئتها لابد من التفكير على المستوى العالمي بمشاكل البيئة ويجب ان نتذكر اذا كانت الدول الكبرى غنية اقتصاديا، فنحن ايضا اغنياء حضاريا ولدينا امكانات مادية وثروات بشرية كبيرة وهائلة.

Abstract:

At the global level environment suffering from real dangers and environmental disasters, and the same case applies to the local environment, we today in front of the contaminated environment in all types of pollution against significant shortcomings evident in awareness that we today need to consciously correct and sound environmental topics, and doesn't awareness come only from the correct behavior and change begins with awareness. This headline search (environment and awareness ... sociological Reading) to address the theme of environment and community awareness through several concepts with an indication of the role of education and some institutions in raising awareness in various forms, with a focus on environmental awareness and achieve. Since the theme of environment and ways of addressing fragmentation cannot be thinking globally with environmental problems and should remember if the major powers rich economically, culturally rich and we also have the potential of physical and human wealth and enormous.